الجغرافية فى القرون الوسطى

— تعريب : عبد الجبار الراوي —

كان علم الجغرافية — والجغرافية العامة على الاخص — كاكثر العلوم فى القرون الوسطى ، متأخراً . ولولا بعض رجال العرب العظام الذين اشتغلوا بترقيته لاندثر ما تبقى منه واعقبته الاجيال المتقدمة. بيد أنهم لم يعنوا كثيراً بالجغرافية الطبيعية والجغرافية الرياضية .

لقد ساح المسعودي مؤلف كتاب (مروج الذهب) الذي توفي في بغداد عام ٩٥٧ ، فى فلسطين وبلاد فارس وشمالي الاناطول وبلاد سورية ومصر وشمالي افريقية واسبانية. وساح محمد الادريسي الذي ولد فى فاس ، في القرن الثاني عشر ، في سواحل فرانسة وانكلترة من جهة ، وبلاد فارس وآسية من جهة أخرى . وساح بن بطوطة ، فى القرن الرابع عشر ، فى شمالي افريقية .

التعبير عن اغراضه وشؤونه الحيوية فى زمانه. وكذلك ستكون اغانينا فى الغد .

٦ — المقارنة بين اغانى الشعب المعروفة وبين اغانى الشعب العربى قبل الف عام اذا وجدت . وكذلك المقارنة بين الادب الاجتماعى — أو شبه الاجتماعى — العتيد وأدب عبد الغفار الأخرس ومن عاصره . ثم الادب الفردي القديم الذي كان يتناول الامراء بالمدح والثناء . وعيناه لا تبصران ما يعانيه الشعب من ارهاقهم اياه .

٧ — البحث في المستقبل القريب للادب الشعبي والمستقبل البعيد . وكذلك مستقبل الاغاني .

وصفحات هذه المجلة مفتوحة لبحوث الكاتبين .

محمود أحمد

ثم بلغ نهر النيجر الكائن غربيها ، والقارة الآسيوية : الهند ، والصين ، وجنوبي روسية .

وبذل هؤلاء السائحون الغيارى معظم جهودهم في اعطاء المعلومات الوافية عن الجغرافية البشرية ، وعن تاريخ وسياسة وطراز ادارة البلاد التي ساحوا فيها .

بيد اننا نرى كثيراً من الاخطاء ظاهراً فى مقدمات كتبهم التي ضمنوها ملاحظاتهم فى الجغرافية العامة ومعلوماتهم . وهي منقولة نقلاً مغلوطاً عن الفلكي (بطليموس) ، ومفهومه فهماً غير صحيح .

واذ جاء دور الانبعاث الاوروبي (رونيسانس) ، أجريت سياحات كبيرة أدت الى اكتشاف ما كان مجهولاً من القارات والممالك . فاتسعت دائرة المعارف الجغرافية العامة مع اتساع دائرة العلوم والفنون الاخرى . وأصبح علم الجغرافية قائماً بنفسه .

وينحصر تقدم الجغرافية اذ ذاك في :

١ — اتساع المعارف الجغرافية .

٢ — تكامل فن رسم الخرائط .

٣ — رقي الفنون الطبيعية وهى السند القوي للجغرافية .

ولنعرض على القارئ طرفا من تلك السياحات التى أشرنا اليها والتي ساحها السائحون الافرنج فانتجت هذه النتيجة الباهرة .

ونبدأ بسياحات (ماركوبولو) البندقى فانه ساح ، فى القرن الثاني عشر ، فى القارة الآسيوية . ومكث عشر سنوات في بلاط خان المغول . واوغل فى الهند الصينية والهند الكبرى . لكنه لعدم معرفته علم الهيأة والجغرافية الطبيعية والرياضية ، لم يستطع رسم الخرائط وتعيين المواقع التى بلغها

في سياحاته . ومن ذلك نشأ الخطأ في خط الطول الذي رسمه (مارتن بيهم) على الكرة التي صنعها عام ١٤٩٤ . فقد انزلت المسافة التى بين اوروبة وآسية في هذه الكرة الى الـ ١٢٠ درجة . واخطأ عين هذا الخطأ (توسكانيلي) من بعد . فجعل (كريستوف كولومب) يتجه نحو الغرب . والقى فى الاذهان فكرة الوصول الى الهند فى مدة قصيرة . كان هـذا قبل ان ظهر في القرن السادس عشر ربابنة السفن الماهرون العارفون أسرار علم الهيأة وقواعدها وقوانينها .

وساح (كريستوف كولومب) ثلاث سياحات سنة ١٤٩٢ و ١٤٩٣ و ١٤٩٨ وقد اعتبر مكتشفاً ارضاً جديدة اذ كان يقصد الى بلوغ شرق آسية .

وفى عين التاريخ بلغ (واسكودوغاما) الهند سالكاً الطريق التي كان يسلكها البورتغاليون من قبل ، بادئاً بطرف (دياز) ، ماراً بسواحل افريقية الغربية ...

وفي سنة ١٤٩٧ — ١٤٠٩ اكتشف (وسبوس) و (ونسان بنزون) الساحل الشمالي لقارة اميركة الجنوبية . وتقدم (كورتاز) حتى اتصل بقلب المكسيك . وجاء (كابو) يوغل فى (لابرادور) و جزيرة (ترنو) .

وظهر (ماجلان) فجال في جنوبي اميركة مرتين . وهو اول من حاول السياحة حول العالم . وكان ذلك بين سنة ١٥١٩ و ١٥٢٣ .

وكان طبيعياً ان تحدث هذه السياحات والاكتشافات المتتالية التي دعت الى الاعجاب باصحابها واكبارهم ، انقلاباً فكرياً . اذ وضحت المناسبات والعلائق بين تاريخ المكتشفات وتاريخ الجغرافية . فأنشأت النظريات القديمة تزول واحدة بعد اخري .

ان الاقدمين كانوا يعتقدون بوجود منطقة حارة لا يستطاع سكناها .

وقد اكد علماء القرون الوسطى صحة فكر الحكيمين (بوليب) و (اراتوستن) اللذين كانا يسعيان الى تصحيح الخطأ الذي كان ينجم عن تقسيم الاقاليم المختلفة . لكن بعض الروحانيين المتعصبين اذ ذاك كانوا ينكرون على هؤلاء ذلك .

على ن الاكتشافات المتعددة والسياحات العاجلة نفسها قد ادت الى احداث بعض الاغلاط فى الجغرافية . وكانت اقاصيص السائحين ورواياتهم اغلبها عارياً عن الصواب ، مملوء بالخرافات .

لكننا لن ننسى فضل دور الانبعاث الذي تقدم خلاله فن رسم الخرائط مستنداً الى دعامتين : ١ً ـ الاكتشافات الجغرافية ٢ً ـ اختراع المطبعة .

وبواسطة المطابع المتكاثرة كثر عدد الخرائط الموروثة عن (بطليموس) وكانت تصحح كل ما جدد طبعها وأعيد .

كانت الكرة الارضية المصطنعة في القرون الوسطى سيئة المنظر رديئة الصنع . وكانت توجد في قصور الامراء كزينة مصنوعة من المعادن الثمينة او الفضة . وكانت الكرة المسطحة الملونة التي صنعها (فرامورو) في القرن الخامس عشر غير مبين فيها دوائر الطول والعرض . لكن الخرائط التي طبعت سواء منها المستندة الى خرائط (بطليموس) او التي رسمت على أسس المكتشفات والسياحات الجديدة اخذت — اذ ذاك — تتداولها الايدي . وكثر عدد الرسامين الذين كانوا يرسمونها . وقد تقدم فن رسم الخرائط تقدماً يذكر بفضلهم وبامعانهم فى رسمها بعد تدقيق وبحث وحل المسائل المتعلقة بها .

وكان (يعقوب انجيلو) اول من ترجم خرائط الفلكي (بطليموس) الى اللاتينية . واول خريطة رسمت على النحاس ، ظهرت ونشرت فى رومة سنة ٤٧٨ .